المجتمع الاميركي وحسابات حكّامه

بقلم غسان سلامة

يقول بطرس غالي في معرض الحديث عن اقالته من منصبه الدولي الرفيع انه كان ضحية "محاولة دولة واحدة السيطرة على مقدرات المنظمة الدولية". الدولة الواحدة التي لم يسمها الديبلوماسي المصري العتيق هي طبعا الولايات المتحدة. اما تصوير القرار باقالته انه كان محاولة اميركية للسيطرة على الامم المتحدة فمسألة اخرى، فيها نظر.

ذلك ان واشنطن، الدولة الاكثر تلكؤا في تسديد ما عليها للمنظمة الدولية من مستحقات تفوق المليار دولار، تسيطر فعلا على المنظمة، وهي ما كانت في حاجة للاحراج الكبير الذي تسبب به قرارها باقالة بطرس غالي وعناده المستفيت والشرعي دفاعا عن كرامته الشخصية وعن صوت ما يعتقد انه يمثل من الدول والناس، لكي تثبت ان على قرارات مجلس الامن وفي اروقة المبنى الزجاجي العالي ما يكفي من السطوة والنفوذ. بل يمكن القول ان النفوذ الاميركي في مجلس الامن لا يزيد على ما تستحقه الدولة العظمى فحسب بل هو يفيض عما في الارجح يناسبها ويخدم مصالحها. ولا ريب ان المندوب الاميركي الجديد في الامم المتحدة، بيل ريتشاردسون، سيكون حريصا على تعديل الشعور العارم في المنظمة بان واشنطن، خلال السنوات الاخيرة، وبصوت مادلين اولبرايت الصارم بل الصدامي، قد بالغت في عرض عضلاتها على حساب المنظمة، والدول الاعضاء، والامانة العامة على السواء، بينما اصبح الاتهام مصوبة نحوها باستخدام المنظمة الدولية مطية لمصالحها من دون ان تدفع ثمن التذكرة للدخول اليها. وما التلويح الاميركي الدائم باستعمال حق النقض (ولاسيما في موضوع رفع العقوبات المفروضة على العراق)، وما استعمال ذاك الحق فعلا ضد ١٤ دولة من اصل ١٥ كانت تؤيد التمديد ولاية جديدة لبطرس غالي، الا صورا عن الفظاظة العفوية التي تصرفت بها الدولة العظمى، متجاهلة صوت الاخرين ومصالحهم، وواجباتها كدولة تستضيف على ارضها المنظمة الاكبر، وكدولة للامم المتحدة عليها مستحقات.

– التتمة في الصفحة ١٩ –

◄ المجتمع الاميركي

– تتمة المنشور في الصفحة ١ –

هل نتذكر لحظة كيف منعت الولايات المتحدة بطرس غالي ومنظمته من الانخراط في عملية التسوية في الشرق الاوسط ضاربة عرض الحائط بخبرة الامم المتحدة لا في مجال حفظ السلام فحسب بل في مجال التعاون الاقتصادي الاقليمي ايضا، ومتجاهلة اهمية القرارات الصادرة عن مجلس الامن كمرجع لا بديل منه للتسوية؟ ام نتذكر كيف حُشر ممثل الامم المتحدة في مقر قاعة الاجتماع في مؤتمر مدريد، من دون ان يعطى دقيقة واحدة ولو لاعلام الوفود بحضوره؟ ام اننا نتوقف عند ذاك التصريح الشهير لوزير الخارجية الاميركية في اليوم عينه الذي كانت الامم المتحدة تحتفل فيه بعيدها الخمسين والذي قال فيه ان واشنطن لن تتدخل لحل مشكلة البوسنة ما لم تنسحب الامم المتحدة منها تماما؟ قد لا تكون واشنطن حصلت، منذ انهيار القطب السوفياتي، على اقصى ما تريده من مجلس الامن، ولاسيما في مجال فرض عقوبات على كوريا الشمالية وكوبا، او في منع مجلس الامن، من التنديد بطرد مئات الفلسطينيين نحو لبنان او بمجزرة الحرم الابرهيمي في الخليل. لكن الواقع بائن للعيان وهو ان واشنطن قادرة دوما على منع الامم المتحدة من الاقدام على اي امر تعارضه الولايات المتحدة بشدة. وهي قادرة اجمالا على جعل مجلس الامن يسير في الاتجاهات التي تناسب مصالحها.

❀ ❀ ❀

لذا يجانب بطرس غالي الحقيقة بعض الشيء في حديثه: فاقالته ليست محاولة لفرض النفوذ الاميركي على المنظمة. انما القرار الاميركي نابع من مسار مختلف لا يقل في الواقع خطورة عما ذكره غالي. فما نشهده هو شعور اميركي بالثقة يصل الى حد جعل سياسة واشنطن الدولية نوعا من الامتداد الهامشي لاعتباراتها السياسية الداخلية حتى اصبح المجال الديبلوماسي ملحقا خافت الوهج للحسابات الانتخابية الراهنة والمقبلة. وقد بدا هذا الامر جليا في غياب لا مثيل له للشؤون العالمية عن محطات الحملة الانتخابية الرئاسية طوال العام المنتهي. فكلما حاول السناتور دول ان يهاجم كلينتون في شأن دولي ما، رد عليه الرئيس الحالي بكلام عمومي مبهم، وسط لامبالاة شبه دائمة عند الناخبين الاميركان الذين لم يهتموا، هذه المرة اكثر من اي حملة سابقة، لا بالعراق ولا بالصين ولا بروسيا ولا بالبوسنة ولا بالشرق الاوسط، معتبرين هذه المسائل قضايا يسهل التوافق عليها داخل النخبة الاميركية الحاكمة ولا يختلف في شأنها مرشح عن اخر، ولا تؤثر عمليا على قرار الناخبين بالتصويت لهذا او لذاك. وبينما يجمع خبراء السياسة الخارجية الاميركية على لحظ هذا الاهتمام المثير بهزاله عند الناخبين، فانهم (كمثل دراسة عن هذا الجنوح صدرت اخيرا في فصلية "فورين بوليسي")، لا يتوقعون تغييرا جذريا فيه ما دام الوضع العالمي على حاله، يخلو عمليا من اي تهديد كبير للمصالح الاميركية في العالم، ومن اي تحد حقيقي لنفوذها الاعظم فيه، كما في المنظمة المنوط بها تمثيله.

اهم نتائج هذه اللامبالاة الشعبية بالشأن الدولي، انفتاح هامش واسع امام القيادة الاميركية لاستعمال المسائل الدولية لاهداف داخلية. فالسبب الاساسي لاقالة بطرس غالي لا علاقة له فعلا بادائه ولا بافكاره ولا بما قيل عنه من تلكؤ في اصلاح المنظمة. كل هذه مبررات جاءت متأخرة لامرار القرار بمنعه من الاستمرار في منصبه. وهو قرار ما كانت واشنطن لتقدم عليه لو لم يلق السناتور دول قدرا من التعاطف في كل مرة كان يتهجم فيها على الامم المتحدة وعلى امينها العام (منزلقا احيانا الى حركات وتعابير شبه عنصرية). وعندما لاحظ كلينتون ان تهكم منافسه على الامين العام يلقى تصفيقا بين مستمعيه، زايد على دول في حركة مسرحية من صلب اللعب الانتخابية مصرحا انه في حال انتخابه فهو لن يسمح لبطرس غالي بالحصول على ولاية اخرى. وتكون واشنطن قد سمحت لنفسها بربط هوية الموظف الدولي الاول بمزايداتها الانتخابية المعروفة. من هنا، من هذا الاصل المتواضع، بل التافه، للقرار الاميركي، صدقية اميركا في تنفيذ قرارها، وعجزها التام عن تفسيره فرغم بعض الحساسية الطبيعية بين بطرس غالي والاميركان، كان الرجل على علم تام بوزن الولايات المتحدة، وهو جاراها في الامور الكبرى، كما في التعيينات الادارية داخل المنظمة. اما اداؤه كأمين عام فهو لا يقل جودة عن معدل من سبقه في المنصب.

وترى الحسابات الداخلية عينها في موجة التعيينات الوزارية الجديدة. فرفع مادلين البرايت من موقعها الديبلوماسي السابق الى منصب وزيرة للخارجية له ولا ريب علاقة ما بتاريخها الاكاديمي (على تواضعه) والاداري (على قصره) والديبلوماسي (رغم بعض فظاظته)، لكن جوهر القرار له علاقة اهم واعمق بالانتخابات الرئاسية الاخيرة حيث تساوى المرشحان تماما بالحصول على اصوات الناخبين الذكور بينما حصل كلينتون على اكثرية كاسحة بين الناخبات. وكان لا بد لزوجته النشطة كما لنائب رئيسه غور (الذي يطمح للاستمرار في جني اصوات الناخبات عندما يترشح بدوره للرئاسة بعد اربع سنين)، من ان يسعيا لجعل الادارة الحالية اكثر الادارات تحقيقا للمطالب النسائية بالمشاركة في القرار السياسي، وهو اساسا ما دفع لتعيين اولبرايت في منصبها الجديد. ولئن كان تعيين سيدة في هذا الموقع الحساس شرعيا، ولئن كنا نتمنى وندعو ان تدخل نساء بلادنا الى جوهر صنع القرار السياسي، فان الحادثة تعني، تماما كاقالة غالي، سيطرة متنامية للحسابات الانتخابية على المعطيات الديبلوماسية.